



# كنوز الأمازون

إعداد: أبو فراس

صارت حمى الذهب البرازيل .. إنه نفس الحلم الذي أشعل الإنديفاع إلى الذهب في ولاية كاليفورنيا في منطقة نهر «البيكون» - هو الذي يدفع اليوم البرازيليين رجالاً ونساءً للسعي وراء الذهب - إنهم يذهبون الآن إلى الغال وغابات الأمازون يدفعهم الاعتقاد الكبير بأنه في مكان ما في الغابة الكثيفة ترقد كنوز من الذهب في الرمال وفي الجداول التي تتلأ بأغيار الذهب ويقطعه الكبيرة التي قد تبلغ أحجاماً كحجم قبضة اليد أو أكثر. وهي لا تحتاج إلا لضربة معول بسيطة لتزيح عنها التراب ..



★ بعض الذهب المستخرج من منجم سبيرابيلادا، بعد تقطيعه ★



★ في هذه الاكواخ يتعمون ★

إلى الأدغال واختفوا بين رمالها وصخورها باحثين عن الأصفر الرئان ..

قبل عدة سنوات قلائل كانت منطقة الجبل العاري على حافة الغابة وتبعد خمسين ميلاً عن الطريق السريع الذي تم شقه في الأدغال وهي عبارة عن جبل صغير في الغابة الاستوائية المطرة لا تستطيع تمييزه عن الجبال الأخرى المحيطة .. وكما تقول القصص التي أصبحت كالفولكلور يتناقلها الناس أن الرجل الذي بدأ كل هذا الإنسحاق نحو الذهب هو مزارع يدعى جينفريو ..

ففي عام ١٩٧٨م قام بإصلاح الأرض حول الجبل وانتقل إلى هناك مع مائة رأس من القطيع .. وهنا تختلف الروايات عن كيفية عثوره على الذهب .. فتقول إحدى الروايات أنه وجد الذهب وهو يحفر لأعمدة سياج المزرعة .. وفي رواية أخرى أن ابنته هي التي وجدت قطعة كبيرة من الذهب

منطقة الجبل العاري هذه تعد رمزاً للامل والثراء السريع .. وهي نسخة استوائية لإنسحاق أهل كاليفورنيا نحو الذهب في القرن التاسع عشر .. فكثير هي قصص الثراء المبالغت .. وكثير رجل عادي أصبح ثرياً بين ليلة وضحاها ..

إن قصص الثراء السريع تحوكت إلى أساطير في هذا الجزء من العالم .. فمثلاً هناك مزارع بسيط تحول إلى مالك لمجموعة من الفنادق الضخمة في مدينة كوباكابانا على الساحل الشرقي .. وهو لا يستطيع توقيع الشيكات إلا ببصمة الإبهام .. وهناك حلاق سابق فتح مشروعاً تجارياً تبلغ قيمته مليون دولار .. وسوف نسمع عن المراهق الصغير الذي اشترى المزرعة التي كان يعمل بها والده كمزارعين بالأجرة .. لا تخلو مثل هذه القصص من بعض الحقيقة ... ولكن الحقيقة الواضحة أن كثيراً من الناس هناك اداروا ظهورهم لمهنتهم وحياتهم السابقة وانطلقوا

## الجبل العاري

هذا المكان الذي يتقاطر عليه البرازيليون من كل حدب وصوب يدعى باسم «الجبل العاري» .. أو باللغة المحلية «سيرا بيلادا» .. وهو موقع ضخم كانه المنجم المفتوح .. وربما كان أغنى مكان يكتشف فيه الذهب في هذا القرن على الإطلاق .. وفي غضون سنوات قليلة أنتج هذا المكان من الذهب بما يكفي للتأثير على اقتصاد البرازيل وعلى ديونها الدولية ويُعيد الثقة في قدرتها على السداد .. لا أحد يعرف على وجه التحديد كمية الذهب التي تم استخراجها وتهريبها إلى خارج البرازيل .. ولكن تشير التقديرات الإجمالية إلى أن قيمة الذهب المستخرج إلى الآن تزيد عن نصف بليون دولار .. وما زال هذا المستودع الذهبي يوجد بخيراته ولم تنضب موارده بعد .. فما زال المزيد من الذهب يخرج منه كل يوم .. أما البرازيليون الذين أغرامهم بريق الذهب .. فإن



★ هنا تتم تفتيح الذهب والبحث عن القطع الذهبية ★



★ إنهم ينقلون الرمل في أكياس سعتها مائة رطل في حركة لا تتقطع طوال الليل والنهار ★

تجدهم في أرجاء الأمازون يرحلون من منطقة إلى أخرى لهنأ وراء الذهب . ويتميز كل منهم بفرديته وشراسته . يقضي يومه في عمل مضن لا يستر جسده العاري إلا ما يستر العورة ، حتى أنك لا تستطيع أن تميز ما يلبسه عن بقية جسده فهو مغطى بالطين والوحل تماماً ... وهم يفخرون بأنهم تركوا مزارعهم ومصانعهم ، ولا تعني لهم شراستهم وأعمالهم غير المتوقعة أي شيء . فهم يجدون لذة في المغامرة والأحلام ...

ومن الغريب أن هذه الشريحة من المجتمع أصبحت مركز ثقل كبير في الاقتصاد البرازيلي لا يستهان بها ، ففي عام ١٩٨٢م ، أقدمت الحكومة على تحويل المنطقة إلى شركة مناجم حكومية كبيرة ووضعت المعدات الثقيلة ، وكان من المتوقع لهذه الشركة مضاعفة إنتاج الذهب في ذلك العام وكان هذا يعني نهاية طبقة الغاريمبيرو ، ولكن هؤلاء العمال ذهبوا في موجة احتجاج عارمة

الجدول ... ويوجد في مكانها الآن جرح عميق في الغابة هو عبارة عن حفرة واسعة عميقة بما يكفي لاستيعاب هرم الجيزة الأكبر ... وفي هذه الأيام يزيد عدد الرجال في تلك المنطقة ، التي كانت خالية في يوم من الأيام من البشر تماماً ، على خمسين ألف رجل يحفرون وينقبون في تلك الحفرة . منهم أطباء من ريو دي جانيرو تركوا مهنة الطب ، ومعلمين تركوا فصول الدراسة ، ومزارعين وأصحاب حوانيت هجروا مهنتهم السابقة وتحولوا إلى غاريمبيرو ... حتى أن بعض الأجانب من الأوروبيين ومن الأمريكتين سارعوا للمشاركة في وليمة الذهب ... أصبحت المنطقة بوتقة انصهار لجميع الناس ، فلا شيء مشترك بينهم إلا حُسن الثروة ..

### عمال المناجم

أصبح عمال المناجم طبقة قائمة بذاتها ، إذ

عندما كانت بالقرب من الجدول أثناء المطر الغزير الذي أزاح التراب عنها ...  
أما الرواية الثالثة فتعزو ذلك لأحد عمال المزرعة الذي وجد القطعة عندما كان يغسل أحد الأطباق في الجدول الصغير ... ويغض النظر عن الطريقة التي عثر فيها على الذهب ، أخذ جيفيتزيو بعض الذهب إلى مدينة مارابا القريبة ، فبدأت حمى الذهب في الانتشار حتى استشرت في جميع أرجاء البلاد ...

وفي خلال أسبوع واحد جاء إلى موقع الجبل العاري حوالي ألف رجل وكل منهم يحلم بثروة مفاجئة ... ويطلق البرازيليون اسم «غاريمبيرو» على كل فرد من هؤلاء ... وتعني «عامل المنجم» ... وفي خلال شهر تزايدت الأعداد حتى وصلت إلى عشرة آلاف ... وأخذ كل رجل يستولى على جزء من الأرض لنفسه ليحفر فيها كنزه المرتقب ... بعد ذلك بقليل ما عاد الجبل جبلاً واختفى



## مرتبات ونسب مئوية

وعلى مالك القطعة أن يزود رجاله بالمأوى الذي يتكوّن من كوخ من الصفيح والكرتون أو الخشب يريحون فيه أجسادهم المتعبة ، كما أن عليه تزويدهم بوجبتين ساخنتين كل يوم ... وعندما يندر الطعام في المنطقة يقوم المالك بعقد صفقة أخرى مع أحد المزارعين لتزويدهم بالطعام مقابل سهم أو سهمين ... حتى أن تذاكر الطائرة وأجرة الطبيب والألات مقابل أسهم أو جزء من السهم .. وهذه العملية في حد ذاتها تشبه عملية طباعة النقود أو اليانصيب .. فهي إما لا قيمة لها دون العثور على الذهب أو تصبح ثروة كبيرة في حالة العثور عليه . وهذا إجراء لا يستطيع كثير من الرجال مقاومته .

## مشكلات العثور على الذهب

إذا لم يجد الغاري مبيرو ، الذهب فإن أحلامه

إن قليلاً من اصحاب الارض يستطيعون تقديم مرتبات للعاملين لديهم إذا عرفنا ان الاجور هي ضعف ما تبلغه في أي مكان آخر ويتم دفعها يومياً ... فبدلاً من المرتبات لمبتهم يفصلون دفع نسب معينة .. فنسبة الحمال تبلغ واحد بالمائة من الغنيمة بعد العثور عليها ، أما الحفار فتبلغ نسبه ٢ /٠٠ والشروط قابلة للتفاوض .. وتتم كتابة العقود على أي شيء متاح مثل غلب الدخان أو ورقة بها جزء خالٍ من إحدى الصحف القديمة وما شابه ... وتصبح هذه العقود كالاسهم تباع وتشتري ... فإذا ضرب الحظ وعثروا على الذهب فإن السهم الواحد يكون كالمياً لشراء مزرعة ضخمة أو فندقاً ، أو قطعة أرض أخرى بمساحة ستة أمتار مربعة في نفس المنطقة للبحث فيها عن ذهب جديد ..

بحجة أنهم هم الذين اكتشفوا الذهب هنا وليس الشركة وهكذا بقي الامر كما كان عليه دون أن تتكوّن الشركة ..

وبالرغم من المظهر العشوائي الذي يسود الجبل ، فإن المنجم جيد التنظيم فهو مقسم بإحكام إلى أكثر من ألف قطعة أرض ذات أرقام تسلسلية ، وتبلغ مساحة كل قطعة مترين في ثلاثة أمتار ..

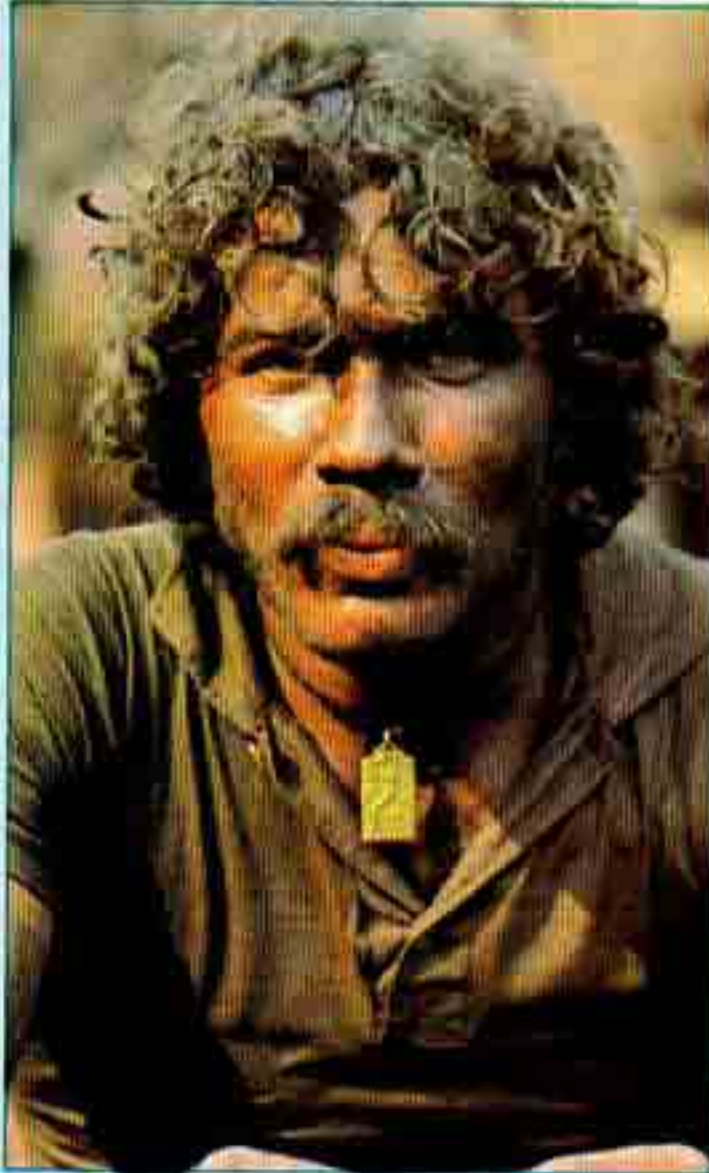
أنشي هذا التقسيم عندما كانت المنطقة في بداية عهدنا وقد وصل الحفر الآن إلى عمق مائتي قدم أو أكثر تحت سطح البحر ، فقد أصبحت غوراً بعد أن كانت جبلاً ... ويوجد هناك باستمرار آلاف الرجال ممن يحفرون الأرض والاف آخرون يحملون التراب بعيداً عن مناطق الحفر ... وقد تسبب وجود القطع بالقرب من بعضها البعض حرباً في القياس ، وكل صاحب موقع يحمل معه متراً خشبياً لقياس طول وعرض قطعه ويستعمله أكثر مما يستعمل أدوات الحفر ، وذلك لحماية قطعه من استيلاء جيرانه عليها ..

إن بضعة بوصات في أي اتجاه قد تحدث قرقاً بين الغني والفقير ... فالذهب غير موزع توزيعاً منتظماً في التربة ... فقد تجد القطع الذهبية في مكان واحد في مجموعات فوق بعضها البعض ، وقد تجد كنزاً بالفعل في قطعة أرض واحدة ، بينما الأراضي المجاورة لها ليس بها إلا الطين والحجارة ..

## ملكية مشتركة

إن كل قطعة أرض مسجلة باسم فرد واحد ، ولكنها في حقيقة الامر ذات ملكية مشتركة ... فهي عبارة عن شركة صغيرة تضم الحفارين والحمالين وسائقي الشاحنات واصحاب الحوانيت في منطقة نصف قطرهما نصف ميل .. ومنطقة الجبل الغاري تشبه بورصة صغيرة تقدر محتوياتها وأسهمها بملايين الدولارات .. فكل صاحب قطعة أرض لا يستطيع العمل بمفرده ويحتاج إلى حوالي عشرين أو ثلاثين رجلاً للعمل فيها فهو يحتاج لحوالي ستة حفارين يعملون بالتعاقب وإلى ضعفهم من الحمالين لحمل التراب الخالي من الذهب بعيداً ، وكل العمل يتم بصورة يدوية مضمّنة على مدار اليوم .. ورغم الطرق البدائية المستعملة فإن الإنتاج السنوي لهذه المنطقة يقدر بحوالي طن واحد من الذهب ..

★ الغاري مبيرو ... العامل يتلقى ميدالية ذهبية إعلاناً عن لونه ★



وواصلوا الحفر حتى عُثروا على كنز آخر وكان قطعة كبيرة جداً تزن مائة وعشرين كيلوجراماً... ولم يقتنعوا وواصلوا الحفر طوال الليل، وعندما وصل أصحاب قطع الأرض الأخرى إلى المنطقة في الصباح التالي كان الملاكم ورفاقه قد جمعوا قرابة ستمائة كيلوجرام من الذهب أو ما يساوي حوالي ثمانية ملايين دولار...

إن القطع الكبيرة من الذهب تختفي بسرعة لأن أصحابها يخافون من استيلاء الحكومة عليها نظراً لقيمتها الأثرية، لذلك يبادرون إلى تقسيمها إلى قطع صغيرة تمهيداً لبيعها. وهناك قطعة كبيرة أخرى وجدها شاب يبلغ من العمر ٢٢ سنة وكان يبلغ وزنها ٦٢,٣ كيلو جرام، وقد دفعت له الحكومة مبلغ مليون وربع المليون من الدولارات ثمناً لها (حوالي ٨٠٪ من قيمتها الحقيقية).

يطلق «الغاريميريو» على ساحة القرية المؤقتة التي يتكدسون فيها بالقرب من النجم اسم «ساحة الأكاذيب» لأن عمال المنجم يجتمعون فيها كل مساء ليتبادلوا قصص الثروة المفاجئة والتي قد يتسامل المرء عن صحتها في بعض الأحيان. كما يطلقون على الشارع الرئيسي اسم «طريق المليونيرات». ومثلما حدث في كاليفورنيا في القرن الثامن عشر عندما اجتاحتها حمى الذهب، حدث الشيء نفسه في منطقة الجبل الغاري، فقد انتشرت الموبقات والجرائم، وانتقلت الموثيق والأخلاق، وسرعان ما تجتمع في المدينة اصناف متعددة من حنالات المجتمع كالمقاسرين والفاسدات وأصبحت القرية مثل مدينة «دودج سيتي» في ليلة السبت، كما كان الحال في الغرب الأمريكي سابقاً. ولكن الحكومة تدخلت ومنعت القمار والمضدرات وبخول النساء إلى البلدة، فأصبحت «سيريرا بيلادا» جزيرة من الرجال فوق بركة من الذهب.

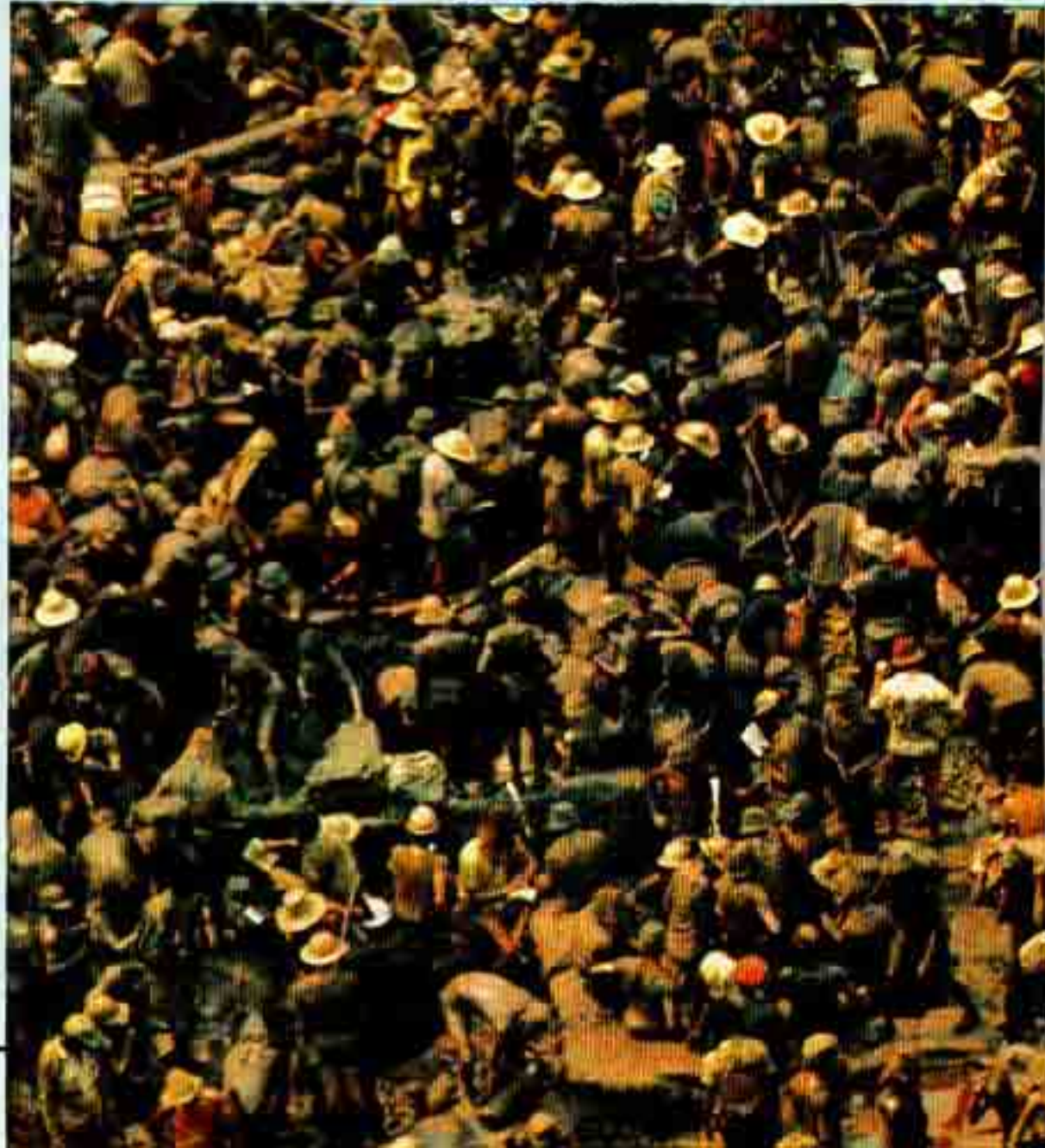
السفلي منها وهو شريط ضيق بالقرب من حافة التل مغمور بالماء والطين، ولهذا فإن هذه المنطقة يطلقون عليها تدرأً اسم «جزر الفولكلاند» أو «المالفيناس» (وهي الجزر التي دارت الحرب حولها بين بريطانيا والارجنتين) بسبب الخلاف والصراع الدائم الذي يحدث عندها نظراً لغناها... فإن محصول هذه المنطقة من الذهب يعادل أو يزيد عن محصول الذهب في المناطق الأخرى مجتمعة... وكمثال على ذلك، فإن هناك ملاكم سابق من منطقة ساو باولو جاء إلى المنطقة مساء الأحد عندما كان الجميع يأخذون راحتهم ليحفر في قطعه، وما أن أزال بعض التراب حتى عثر على حوالي كيلوجرام من الذهب فأعاد التراب عليه وأسرع لاستنفا رفاقه وشركائه، وبعد ساعة من الحفر المتواصل وجدوا قطعة واحدة أخرى بحجم كرة القدم تزن حوالي أربعين كيلوجراماً.

تنبذ في الهواء وتبدأ متاعبه من جديد، أما إذا وجد الذهب فإن متاعبه ستتضاعف إذ يلتف حوله المئات وكل منهم يطالب بنصيبه من الغنيمة، وفي إحدى المرات عثر أحدهم على ما يعادل مليوني دولار من الذهب فواجهه مباشرة حشد طويل وكل واحد منهم يحمل سهماً نسبتته واحد بالمائة من الغنيمة وكانت النتيجة أن مجموع الأسهم بلغ ١٣٢٪، وقال الرجل إنه يعتقد أن هناك المزيد ممن سيقدمون إليه زاعمين أن لهم حصة في هذا الكنز...

### جغرافية المنجم

إن قاع المنجم له جغرافيته الخاصة به، فهناك أكثر من إثني عشرة منطقة منفصلة وكل منها لها سجلها وتاريخها الخاص من حيث الكنوز التي تم العثور عليها فيها... ولكن أغنى جزء هو الجزء

• العمل ليل نهار من أجل الثروة •



### المراجع

1. Neil Hollander and Robert Maclean; Mud-Caked Amazon minors Wallow in newfound Wealth and power, Smithsonian, April 1984.
2. «The Treasures of Serra Pelada», Life, December 1980.
3. Warren Hodge; Gold Fever Lures Thousands to Amazon, New York Times, October 3, 1980.